د. حسني محمود حسين

الشعر واليقظة العربية قبيل الانتداب البريطاني

مدخل لدراسة شعر المقاومة الفلسطينية

تمهيد

في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ التي حاقت بالامة ، تلاشت الجدران المانعة للصوت التي غيبت وراءها الاقلية العربية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، لئلا يصل الى إسماع امتهم شيء من همسهم او حتى صراخهم . وكذلك انهارت الاسوار التي توهمت الدولة الصهيونية أنها رفعتها حول ما قدرت انه قبر الشخصية الفلسطينية ، بعد ما يقرب من عشرين عاما قدر ان تكون موتا بطيئا لها . واذا بهذه الشخصية ، على عكس كل ما خطط ضدها ، تبدو في حال من الوعي العميق ، وقد انتصبت قامتها وعلا صوتها ؛ ومن فلسطين المحتلة جاء الصدى ، واكتشفت الامة نهرا كبيرا من الشعر يتدفق من تحت مرقدها ، ظل ابناؤها الشعراء المأسورون لسنوات طوال يشقون مجراه دون ان تدري هي عنه شيئا ، الا القليل كان قد تسرب منه في بطء خلال جدران الصمت واسوار العزلة .

كان هؤلاء الابناء قد اقاموا صرحا من الشعر لم تكن الامة تعرف ماهيته ؛ اذ لم يكن ما عرفته منه اكثر من اصوات دقات قليلة في الصرح . وعندما تلاشت الجدران جاء الصوت ، وتدفق النهر ، وظهر الصرح ؛ فرأت الأمة من شأن ذلك كله عجبا ، ونظر معظم النقاد والادباء الى هذا الشعر ، فجعلوا منه ، لفرحتهم به بقرة الهندوس ، فوق كل خطأ ، واعلى من كل نقد ، حتى لقد احس اصحاب الشعر نفسه بالضيق من هذا « الحب القاسي » . وبالدرجة نفسها من الاقبال العاطفي ، الذي تزاحم فيه الكثيرون على هذا الشعر ، ادبر آخرون عنه واداروا ظهورهم له ، بدون تقدير لظروف اصحابه وحياة اهله ، حتى لقد سلبوه جوهر خصائصه ، واصل وجوده : المقاومة . وظل هذا الشعر ، في الغالب ، تتحكم فيه بيننا قسوة العاطفيين .

ومصطلح « شعر المقاومة » حديث نسبيا ، فقد اطلقته الحرب العالمية الثانية ، او بالاحرى ،كان بعض مذاقاتها . طغى طوفان هتلر على اوروبا فجمع الناس المهزومين على كراهة النازية ، ووحد هدفهم في مقاومتها والخلاص من ويلاتها . ولم تكن الشعوب المقهورة اقل حضارة أو وعيا من القوم المنتصرين ؛ فمجتمعاتهم تنعم باستقرار حضاري وديموقراطي، وقد